

ISSN: 2449-0938

UNI Lorin SHARI'AH
JOURNAL

Vol. 5, 2021

Published by the
Department of Islamic Law,
University of Ilorin, Ilorin, Nigeria

اللغة العربية في التعامل مع النصوص الشرعية

اللغة العربية في التعامل مع النصوص الشرعية

*Tajudeen Yusuf, PhD

Abstract

This paper aims at examining the role of the Arabic language in the study and teaching of Islamic studies in different institutions of higher learning in the non-Arab world. The majority of the studies in different institutions of higher learning in the non-Arab world give little or negligible importance to Arabic and Shari'ah institutions in the non-Arab world employ other languages such as English in jurisprudential activities. This is because majority of Shari'ah sources have been rendered to different languages which makes non-Arab writers to have access to Shari'ah texts. The paper argues that, for a better understanding of Islamic ruling texts and sources, proficiency in Arabic language becomes inevitable. It was the language chosen by Allah for the revelation of the Holy Scripture, Al-Qur'an; indeed, the Tradition of the noble Prophet was documented in Arabic. For a jurist to understand and interpret the word of Allah, the Tradition of the Prophet, fundamentals of Islamic jurisprudence and other Shari'ah materials, he must be well equipped with adequate knowledge of Arabic. Indeed, no jurist can resist the beauty of this language, with its logic and unique brilliance. Adding to its importance is that some Islamic terms simply cannot be translated accurately into languages such as English. From this point the paper examines Arabic as a language, and as a lingua Franca of Islam with special attention to its importance in the study of Shari'ah.

مقدمة

وتعد قضية مركزية اللغة العربية علاقتها مع الشريعة الإسلامية من أهم الموضوعات التي نالت اهتمام الأغلبية من العلماء قديما وحديثا لكونها دراسة المجتمعات والثقافات الإنسانية. إن القرآن العظيم أصل، والسنة له بيان، واستنباط العلماء له إيضاح وتبيان، إن المتأمل لآيات الكتاب الكريم ليقف على بعض تقارب نصوصه وتنوع ألفاظه، ويقلب الفكر في تقديم اللفظ هنا وتأخيرها هناك، ويتساءل عن ذكر بعض ألفاظ وحذفها في بعض نصوص، وعن استعمال

* Dr. Tajudeen Yusuf , Lecturer of Arabic in the Arabic Unit, Department of Linguistics, African and European Languages, Kwara State University, Malete, Kwara State, Nigeria. Tajudeen.yusuf@kwasu.edu.ng, Toyin_72@hotmail.com, +234 8167426648

اللغة العربية في التعامل مع النصوص الشرعية

ويضاف إلى ذلك أن اللغة أداة التعبير، ذلك لأن الإنسان يستخدم هذه الأصوات وما يتكون منها من الكلمات والجمل للهدف الأسمى هو التعبير عن الأفكار والمشاعر والذي هو الوظيفة الأساسية للغة، فاللغة بهذا الوصف أداة للفهم والإفهام. وإذا كانت اللغة بوصف عام الغرض منها هو الفهم والإفهام، فإن اللغة العربية هي وعاء لأصول الدين الإسلامي وثقافته بما فيها الفقه وأصوله، ولا سبيل إلى فهم هذه الأصول والثقافة وإفهامها إلا بالإمام شامل بهذه اللغة وأصولها والتسلح بها. فاللغة العربية هي لغة الثقافة الإسلامية ولغة مصادرها بما فيها القرآن والحديث والفقه وأصوله، ولا مفر منها لمن أراد أن يتفقه في الدين أو يتصدى القضاء.

مكانة اللغة العربية

اللغة العربية هي أبرز ملامح ثقافتنا العربية والإسلامية، وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطاً بالهوية والدين، وهي اللغة الإنسانية التي صمدت زهاء قرونا من الزمان، سجلا أمينا الحضارة أمتها والأمة الإسلامية في ازدهارها وانتكاستها، وشاهدا على إبداع أبنائها وأمتها، واللغة العربية لغة عالمية نجحت في عصور الازدهار أن تكون أداة فعالة لنقل المعرفة، وهي تتسم بخصائص جوهرية تؤكد عالميتها، كما أنها قادرة على التواصل في عصر المعلومات، واستخدامها في مسار الحياة الواقعية، واستخدامها في عمليات التبادل والحوار والتفاوض والتراس عبر التقنيات المتقدمة.

وموقعها على خريطة المعرفة يوضح شبكة العلاقات التي تربطها بفروع المعرفة بالعلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية والفنون بأنواعها، واللغة العربية الفصحى جامعة شمل العرب والأمة الإسلامية، وموحدة كلمتنا، وحافظة تراثنا،

ولغة قرآننا الذي هو الأصل الأول للتشريع الإسلامي، كما أنها عنوان شخصيتنا الإسلامية، وعليه فإن واجب بها يقع عنق أبنائها والأمة الإسلامية، ذلك لأنها (اللغة العربية) جزء من التفكير الشرعي.

إن إعجاز القرآن الكريم، بما فيه من إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب وغيرهم عن معارضة القرآن مما استدعى الاهتمام باللغة العربية وعلومها. ويضاف إلى ذلك الإعجاز اللغوي، عَجَزَ الْبَشَرُ عَنْ مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ وَالْإِثْنَيْنِ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فِي أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ وَأَسْلُوبِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، كل هذا مما جعل نقل ألفاظ القرآن الكريم أو معانيه من اللغة العربية إلى لغة أخرى أمراً صعباً.⁴

خصائص اللغة العربية

وللغة العربية مميزات وخصائص مما جعلها وعاء للأصول الشرعية والثقافة الإسلامية، ولا يشاركها في هذه المهمة أي لغة من اللغات العالمية. وهي لغة الصيغ، حيث يمكن تشكيل أكبر قدر من الصيغ من أصل لغوي واحد، وأنها لغة الإعراب ولغة قواعد من حيث ترتيب الكلمات وتحديد وظائفها واضبط أواخرها، إنها لغة التصريف، لغة غنية في مترادفات، حيث يحل حرف محل آخر لتخفيف النطق بالكلمة، وهي لغة غنية بأصواته فتعد أغنى اللغات من حيث عدد أصواتها، بل فيها أصوات لا توجد في أية لغة أخرى، إن اللغة العربية لغة مرنة في بناء جملها حيث يمكن التأخير والتقديم في بناء الجملة، وهي لغة متنوعة في مجملها حيث تتنوع الجمل بين اسمية و فعلية و خبرية وإنشائية، وهي لغة ثرية بألفاظها وتراكيبها، ودلالاتها مما جعلها حاملاً للرسالة السماوية الكبرى.⁵

إن طبيعة اللغة وجوهرها لا يمكن أن تفهم على وجه أدق إلا عبر فهم الدور الذي

⁴ حسن شحاته ومروان السمان، المرجع في تعليم اللغة العربية وتعلمها، (مكتبة الدار العربية للكتاب)، 11-12

طرق تدريس اللغة العربية، الوحدة الأولى: اللغة العربية، (جامعة الملك خالد، السعودية)، 11

اللغة العربية في التعامل مع النصوص الشرعية

تؤديه في الحياة، ولذلك يقول لويس: "إذا أردنا أن ندرس الفكر والنتاج الفكري، فالواجب أن ندرس اللغة، وإذا أردنا أن ندرس اللغة فعلينا أن ندرس عملها في المجتمع".⁶ ومن هذا المنطلق، فإن القرآن العظيم الذي هو الأصل في التشريع، والسنة التي هي بيانه، واستنباط العلماء الذي هو الإيضاح والتبيان لهما لا يمكن فهم جوهرها والتعامل معها على وجه أدق في غياب فهم دور اللغة العربية وأهميتها في مجال التشريع، فالمجتهد يجب أن يكون يفهم الشريعة ويكون اجتهاده صحيحاً خاصة إذا كانت المسألة المجتهد فيها لها اتصال بالاستنباط من الخطاب الشرعي وليست خاضعة للنظر المصلحي، ولا يتأتى له ذلك بدون فهم دقيق للغة، فعليه أن يوصل على ملكة لغوية تفهم بها نصوصها الفصيحة ويمارس أساليبها.

اللغة العربية والشريعة الإسلامية

إن اللغة العربية والشريعة الإسلامية أصلان متلازمان إلى أبعد حدود يتعذر الفصل بينهما، وهذه الفكرة أصبحت حقيقة عملية اتفق عليها العلماء المسلمون على اختلاف اتجاهاتهم ومجالاتهم، إن الإسلام رسالة عالمية لا تخص العرب دون العجم، وأينما دخل الإسلامي صاحبه اللغة العربية لأنها وعاء رسالة الإسلام، فاللغة هي مفتاح الفهم.⁷ إن فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج حكمه وأحكامه واستمداد ذلك إنما يكون بمعرفة اللغة العربية وما يتفرع منها من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول، والقراءات، ونحو ذلك من العلوم.

كل هذا مما أدى إلى الحاجة ماسة إلى هذا العلم، وهو من أجل العلوم وأعظمها، ذلك لأن الله عز وجل قد أنزل القرآن العظيم ليكون منهج الحياة، و دستوراً

⁶ لويس، م.م. اللغة في المجتمع، ترجمة: تمام حسان، (دار إحياء الكتب العربية، مصر،

1959م) 295.

⁷ وجيه، حسن محمد، (مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي)، 88-89.

للمسلمين في معاشهم ومعادهم. ولا سبيل إلى فهم النصوص الشرعية بدون فهم اللغة العربية.⁸ والإمام الشاطبي يؤكد على اقتران علم اللغة العربية بعلوم الشريعة، إذ يرى أن الشريعة عربية، وإذا كان الأمر كذلك، فلا سبيل إلى فهمها حق الفهم إلا بالتعمق في اللغة العربية، ففهم الشريعة والإمام بها لن يكون إلا بفهم اللغة العربية، وأن التمكن في اللغة العربية والتسلح بها من أهم الشروط التي لا بد أن توفر في المجتهد.⁹

وهذا هو الشيخ ابن تيمية يؤيد العلاقة القوية بين العربية، فاللغة العربية في نظرية ابن تيمية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم كتاب الله والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فحاجة علوم القرآن والسنة إلى اللغة العربية واضحة لا تنكر. وإن انتشار الإسلام مع الثقافة الإسلامية قد أدى إلى انتشار اللغة العربية لارتباطها القوي برسالة الإسلام الخالدة، لأن القرآن الكريم بها كُتب، وعليها رُسم، ذلك الكتاب الذي أنزل على خاتم أنبيائه بلسان عربي مبين، فاللغة العربية مدينة ببقائها وخلودها للإسلام، لأن ارتباطها بالإسلام تلقائي، وفي المقابل كانت هي عوناً ووعاء للإسلام وثقافتها.¹⁰

القرآن الكريم

إن الإنسان مدني بالطبع، فهو في حاجة إلى غيره، وغيره في حاجة إليه، وتعاون الإنسان مع أخيه الإنسان ضرورة اجتماعية، ولو ترك الخالف أمر الناس طون ضابط يحدد علاقتهم، ويصون حقوقهم، لصار أمرهم فوضى، إذا، فلا بد من نظام يحكمهم ويحقق العدل بين الأفراد، قرر القرآن صيانة الكليات

⁸ الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م)، 5/1.

⁹ إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، (الموافقات في أصول الشريعة، 2004)، 4/115.

¹⁰ صبحي الصالح، معالم الشريعة الإسلامية، (دار العالم للملايين، 1982م)، 86.

الخمسـة الضرورية للحياة الإنسانية: الدين، والنفس، والعرض، والمال، والعقل، ورتب عليها العقوبات المنصوصة والتي تعرف في الفقه الإسلامي بالجنايات والحدود، لأن القرآن دستور تشريعي كامل. ولا شك أن الإعجاز التشريعي للقرآن مقترن بإعجازه اللغوي والذي حير عقول العرب لفظاً ومضموناً.

هذا، فإن ارتباط كتاب سماوي مقدس بلغة معينة كارتباط الإسلام باللغة العربية أمر غير معهود ولا معروف لغير هذا الدين واللغة، فإذا كان غير القرآن من الكتب السماوية المقدسة قد تُرجمت إلى لغات كثيرة، فإن القرآن الكريم قرآن بلفظه ونصه لم يترجم ولا يمكن ترجمته وإن ترجمت أفكاره ومعانيه، وإن أفكاره ومعانيه لا تسمى قرآناً لأن القرآن ليس قرآناً بأفكاره ومعانيه فقط، وإنما هو بالمعاني والألفاظ والأسلوب، وبالنظم والأفكار جميعاً.¹¹ وفي القرآن الكريم الذي هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي آيات كثيرة تكرر نزوله بلسان عربي مبين، منها قوله تعالى: {نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين}. الشعراء: 195

وفي وصف هذا اللسان بالبيان إحياء إلى نقاء هذا اللسان، وقدرته على الاستيعاب والتوظيف، حملاً وأداءً لأن القرآن ليس قرآناً بمضامينه ومعانيه فقط، وإنما هو بالمعاني والألفاظ والأسلوب، بالنظم والأفكار جميعاً، وإن فهم كتاب الله واستخراج الأحكام الشرعية منه، إنما يتوقف على فقه العربية، وإتقانها، والغوص في أعماق علومها. والمتعمق في علم التفسير يلاحظ عناية المفسرين بالجانب اللغوي في تعاملهم مع النصوص القرآنية إلى درجة اعتماد اللغة عنصراً مهماً من عناصر الترجيح. والتشريع الإسلامي ناحية من النواحي الهامة التي انتظمها رسالة الإسلام، والتي تمثل الناحية العلمية من هذه الرسالة. ولم تكن التشريع الديني المحض، كأحكام العبادات. تشريع يصدر عن وحي الله لنبيه صلى الله عليه وسلم من كتاب أو سنة، أو بما يقره عليه من اجتهاد، وكانت

¹¹ مناع خليل القطان، الحديث والثقافة الإسلامية، (وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية،

مهمة الرسول لا يتجاوز التبليغ والتبيين. ويضاف إلى ذلك عموم الرسالة، ولم تكن رسالة الإسلام موضوعية محددة تخص جيلاً دون جيل، ولا قوم دون قوم كشأن الرسائل التي قبلها، بل هي رسالة عالمية تعوم جميع الناس، ولا سبيل إلى نشر هذه الرسالة على وجه أوفق إلى بفهم اللغة العربية التي بها أنزل هذه الرسالة الخالدة.¹²

السنة النبوية

أجمع علماء المسلمون لا نزاع بينهم في ذلك أن أحد أركان الإيمان هو التسليم لكلام النبي صلى الله عليه وسلم وعدم التقدم بين يديه بكلام يخالفه . ووجوب طاعة النبي ضرورة إيمانية إذ لا يتم إيمان امرئ ولا إسلامه إلا به. وجعله الله تعالى دليل المحبة فقال جل جلاله : { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم }
ال عمران : ٣١

وفي هذه الآية دليل على مكانة السنة في التشريع الإسلامي وعلاقتها بالقرآن الكريم وكيف نتعامل مع السنة المطهر. وأن السنة النبوية هي المصدر الثاني في التشريع الإسلامي كما دلت عليها آيات القرآن الكريم ونصوص الأحاديث الصحيحة وإجماع الأمة المسلمة والعقول السليمة، وهي المصدر الثاني المعصوم بعد كتاب الله، وهذه المرتبة حددتها آيات القرآن الكريم، ونصوص السنة، وإجماع الأمة، وهي ملازمة للقرآن الكريم، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، لأن القرآن كلي هذه الشريعة، والسنة بيان وتفصيل لمجمله، وتوضيح لمبهمه. فالنبي صلى الله عليه وسلم هو أفصح من نطق بالضاد، وقد أوتي جوامع الكلم، ولا شك أن علاقة الحديث النبوي باللغة العربية تبدأ من بلاغة أقواله صلى الله عليه وسلم التي تعد في قمة البيان البشري. وإذا أقوال النبي في منتهى البلاغة والشريعة التي جاءت بها عربية، فإن فهم السنة النبوية يحتاج إلى علوم اللغة

¹² السيد سابق، فقه السنة، (المكتبة العصرية، بيروت، 2016)، 1/ 70

العربية حاجة ماسة، وإلى الإحاطة بقواعدها نحواً وصرفاً وبلاغة.

الاجتهاد

إن مجتهد يجب أن يفهم الشريعة ويكون اجتهاده صحيحاً خاصة إذا كانت المسألة المجتهد فيها لها اتصال بالاستنباط من الخطاب الشرعي وليست خاضعة للنظر المصلحي، فعليه أن يرصّل على ملكة لغوية تفهم بها نصوصها الفصيحة ويمارس أساليبها، فعليه أن يتذوق ألفاظها ويدرس نظامها نحواً وصرفاً واصالقاتها، بصيغها الصرفية جيداً على القرائن اللفظية والمعنوية، ويتمثل وأن يكون له الإلمام بأساليبها البلاغية من البيان والمعاني قبل التصدي للاجتهاد في الشريعة لأن القرآن والسنة لا يركن أن فهما إلا عبر اللغة العربية. ولا شك في أن المجتهد لا مفر له من مجموعة العلوم التي يتوصّل بها إلى فهم القرآن والسنة من العلوم وهي العلوم التي تُقصد لذاتها كعلم الفقه والتفسير وغيرها، وجميعها يدور حول فهم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهي علوم غاية، وكذلك علوم آله يستعان بها لتحصيل الفهم لكتاب الله وسنته بطريقة يطمئن إليها العالمكأصول الفقه وغيره، وتتبوأ علوم اللغة من علم النحو، وعلم الصرف، وعلم متن اللغة، وعلم البلاغة وغير ذلك مركزاً رئيساً بين هذه العلوم.¹³

خاتمة

ويتضح فيما سبق أن اللغة العربية وسيلة التفكير والفهم لعلوم الشريعة الإسلامية، وهي لغة القرآن والسنة، وهي لازمة لا غنى عنها في فهم التشريع الإسلامي وإفهامه، وأنها ذات فاعلية في نقل المعارف والعلوم الإسلامية، وأنها

¹³ "علوم الآلة"، موسوعة المصطلحات والقواميس الإسلامية المترجمة،

أساس ينبي عليه التشريع الإسلامي، فاللغة العربية أداة لتنمية الفكر والتشريع الإسلامي، وعليها يعتمد التقدم الفكري والثقافي. وهي وسيلة إلى فهم التراث الإسلامي والثقافة الإسلامية، وبها تمايزت وتعارفت المجتمعات البشرية، فليست اللغة العربية مرآة ينعكس على صفحتها حياة أمتها ونشاطها فحسب، بل تقوم بتشكيل الثقافة الإسلامية وحضارتها. وهي سلاح يتسلح به المجتهد لاستنباط الأحكام من الكتاب والسنة، فاللغة والتشريع الإسلامي متلازمان، فالعربية شريعة والشريعة عربية.

فباللغة، في مجال التشريع الإسلامي، ليست، مقصورة على وظيفة التوصيل كما في، ولكنها أداة للتفكير، وبهذا فهي وسيلة للفهم والإفهام، وأداة تساعد على التفكير، وهي أيضاً أداة لتسجيل الأفكار والرجوع إليها. [14] والمتعمق في علوم التفسير يلاحظ عناية المفسرين بالجانب اللغوي في تعاملهم مع النصوص القرآنية إلى درجة اعتماد اللغة عنصراً مهماً من عناصر الترجيح بين الأفكار والآراء، كما أن الترجيح، عند بعض الأصوليين، أي إظهار امتياز أحد الدليلين المتماثلين بوصف يجعله أولى بالاعتبار من الآخر يعتمد غالباً على علوم اللغة، والعلة في اعتبار اللغة من عناصر الترجيح هو كون الحقيقة مقدمة على المجاز، والتصريح على الكناية.

المصادر والمراجع

- أبو الفتح عثمان ابن جني، **الخصائص**، (دار الكتب العلمية، بيروت: 2001)، 87/1.
- إبراهيم بن موسى بن محمد للشاطبي، (الموافقات في أصول الشريعة، 2004)، 4 / 115.
- حسن شحاته ومروان السمان، **المرجع في تعليم اللغة العربية وتعلمها**، (مكتبة الدار العربية للكتاب)، 11 - 12.
- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل**، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م)، 5/1.
- السيد سابق، **فقه السنة**، (المكتبة العصرية، بيروت، 2016)، 1 / 70.
- صبحي الصالح، **معالم الشريعة الإسلامية**، (دار العالم للملايين، 1982م)، 86.

اللغة العربية في التعامل مع النصوص الشرعية

- ----- طرق تدريس اللغة العربية، الوحدة الأولى: اللغة العربية، (جامعة الملك خالد، السعودية)
- عاطف مذكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، (دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987م).
- علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام. (دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980) 46/1.
- "علوم الألة"، موسوعة المصطلحات والقواميس الإسلامية المترجمة، <https://terminologyenc.com/ar/browse/term/75271>، 2021/10/29
- لويس، م.م. اللغة في المجتمع، ترجمة: تمام حسان، (دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1959م) 295.
- وجيه، حسن محمد، (مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي)، 88-89.
- محمد علي الملا، "نحو لغة دبلوماسية قادرة على نشر السلام بين الأمم"، (الموقف الأدبي، العدد 257 - 258، 1992م)، ص 4-12.
- مناع خليل القطان، الحديث والثقافة الإسلامية، (وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، 1977م)، 166.